دور الكاريزما في تأسيس الدول

الرئيس علي عبدالله صالح أنموذجاً ١-٢

■ تحاول هذه المقالة فهم دور الرئيس علي عبدالله صالح في بناء الدولة اليمنية الحديثة من خلال تطبيق النظرية السياسية التي تحاول تفسير نشوء وبناء وتعمير الدول من خلال دور (القائد السياسي) ثم نحاول فهم الطرح السياسي لاحزاب المشترك فيما يخص رؤيتها المتعلقة بدور الرئيس علي عبدالله صالح وفترة حكمه؟

ونهدف من وراء ذلك إعطاء طرح وتفسير منطقي يدعم استمرار الرئيس صالح في الترشيح للدورة القادمة وضرورة تحمله للمسئولية التاريخية الملقاة على عاتقه في إكمال مسارات بناء الدولة اليمنية الحديثة ونؤسس هذا الطرح على فرضية تقول إن المشروع الوطني الوحدوي والديمقراطي والتنموي في ظل وجود منافسة على المؤسسة الرئاسية بين القوى السياسية في حالة اصرار الرئيس صالح على عدم الترشيح سيتعرض لانتكاسة وأن اليمن ستدخل في حالة صراع بين الإطراف السياسية المختلفة سيؤدي إلى إعاقة إكمال بناء الدولة ويهدد القيم الاساسية التي يرتكز عليها المشروع الوطني ويقود إلى حالة من عدم الاستقرار الداخلي ستمتد تأثيراتها اقليميا ودوليا.

وهذا الطرح نحاول أن نؤسسه على رؤية علمية واقعية ولا نفكر بمثالية بل نحلل ونفحص بهدف الفهم والبحث عن الصواب وعلى من يختلف معنا أن يستخدم عقله ويناقش ويحاور بهدف الوصول إلى ما يخدم مصالحنا الوطنية ونحن هنا لا نتحاور مع العقليات السياسية المراهقة وأصحاب العقول المنغلقة الذي تحكمها الايدولوجيا أو النزعات النفسية المريضة أو من لهم أجندة أخرى تتناقض مع استمرار الرئيس في أكمال المشروع الوطني لأننا لن نصل معهم إلى نتيجة أيا كانت المحاجة العقلية المستخدمة.

وهذه الدراسة تقف من ناحية مبدئية ضد الفردية والدكتاتورية والاستبداد بل هي رؤية تهدف لترسيخ مفهوم الدولة الحديثة وتدعيم للمشروع الوطني بصورته التي يعبر عنها الرئيس صالح والنخبة الداعمة (وهي النخبة التي ترى في نجاح الدولة وتحقيق أهداف المشروع الوطني نجاحاً لمصالحها وترى أن أي مصالح تتناقض مع القيم الوطنية هي مصالح مرفوضة ومعيقة لإي تطور أو تقدم وبالتالي فأي فرد مهما بلغ تأثيره داخل النظام وينتمي إلى النخبة السياسية ويسعى لمصالحه الانانية لا نعتبره من النخبة الداعمة) وهي محاولة لتحليل وفهم الواقع بحيادية وموضوعية وليس من هدفها التزلف أو النفاق وليس لكاتبها أي ارتباط بالسلطة وليس لديه أية مصلحة ذاتية بل أن الكاتب مصنف من معارضي النظام.

نجيب غــلاب ★

مدخل نظري: التاريخ السياسي العالمي يزخر بأمثلة كثيرة توضح ان (القائد السياسي يلعب دورا جوهريا في نشوء الدول وتأسيسها أو إنقاذها وإخراجها من أزماتها وإعادة تاهيلها وفق منظومة من القيم الجديدة كليا أو تأسيسها على القيم القديمة مع إعادة تفسيرها بهدف التجديد والتواؤم مع المتغيرات وعادة ما تعبر تلك القيم عن المصالح الوطنية العليا التي هي من جانب آخر تجسيد لطموحات الناس ورغبتهم في مستقبل زاهر ونتيجة مصداقية الرسالة التي يحملها القائد السياسي ينال التأييد والشرعية مما يسهل علية الامر في بناء الدولة وتعميرها.

وعلى هذا الأساس يستند مؤيدو النظرية ليؤكدوا على وجود علاقة قوية بين الدور الفاعل للقائد السياسي وبناء الدولة وتحقيق نهوضها السياسي والاقتصادي والاجتماعي وهذه النظرية حسب اصحابها تكون اكثر صدقيه في الدول الناشئة أو التي تواجه أزمات متلاحقة ولم تستقر بعد هياكلها المؤسسية والمجتمع المدني تجربته بسيطة مما يعطي القائد الفرد دورا محوريا في التأسيس وهذا لايعني ان الدول المتقدمة لا تظهر فيها تلك القيادات خصوصا في وقت الازمات بحيث يقوم القائد الكارزمي بإعادة تأهيل الدول وحلحلة ازماتها.

والنظرية لا ترى أن القائد هو الآمر الناهي والفاعل الوحيد ولكنه رمز يعبر عن الحاجات المجتمعية وعن القيم التي يسعى لتحقيقها وعادة ما يكون القائد مدعوماً بنخبة فذة تساعده على تحقيق أهدافه وقيمه الوطنية وهي عادة أهداف وقيم مجسدة لطموحات النخبة والغالبية العظمى من مواطني الدولة.

وهذا الدور لا يقوم به السياسي العادي وإنما القادة الموهوبين الذي يمتازون بسمات شخصية تجعلهم قادرين على التأثير في حياة شعوبهم فهم متميزون بالشجاعة والمبادرة وقادرون على التضحية والعطاء ولديهم إرادة قوية وقدرة فذة على اختيار القرارات الصائبة ولديهم قدرات عقلية قادرة على رسم الطموحات الوطنية برؤية واضحة من خلالها يتم تجسيد القيم العليا للمواطنين وعلى هذا الاساس يكون محل ثقة الغالبية العظمى من أبناء الشعب مما يسهم ويساعد القائد والنخبة في تشكيل فلسفة سياسية نابعة من الحاجات المجتمعية.

وهذا القبول يجعلها قادرة على التعبئة السياسية وتوجيه المواطنين لقبول التغيير لصالح منظومة القيم الوطنية المعبرة عن الشرائح المختلفة المشكلة للمجتمع والدولة وبالتالي القدرة على تاسيس النظام السياسي وقبول سلطة القانون وجعل الشرعية السياسية التي يتمتع بها القائد اداة لترسيخ النظام والقانون والحصول على الاستقرار ومن تلك الفلسفة تتحدد طبيعة الهياكل والمؤسسات ومخرجات العمل السياسي على المستوى الداخلي والخارجي.

وفي المراحل الأولى للتأسيس قد تصبح هياكل ومؤسسات الدولة مرتبطة بشخصية القائد الكاريزمي بحكم التاييد الذي يحظى به وقوة تاثيره وتحكمه بمدخلات ومخرجات اللعبة السياسية ولكنها تنفصل عن شخصه تدريجيا لتصبح مستقلة وتعمل بتلقائية وفق الفلسفة المؤسسة للمشروع الوطني الذي تبناه وعمل من اجله القائد السياسي.

ويؤكد أصحاب النظرية أن القائد الكاريزمي يمارس ثلاث آليات ليكون قادراً على امتلاك القوة والنفوذ والتاثير ليقوم بالدور المطلوب لتحقيق بناء الدولة وهي تكوين صورة الذات (Image formation) نقل صورة الذات (Image Communication) دعم صورة الذات (Image Reinforcement) وسنحاول اختصار هذه الآليات بمحاولة تطبيقها على الرئيس صالح.

الرئيس صالح كقائد كاريزمي

بتطبيق هذه الآليات على الرئيس صالح نجد أن الرئيس صالح منذ البدايات الأولى لحكمة استطاع أن يخلق القبول والشرعية من خلال قدرته على إبداع آليات اتصال عالية الجودة مع كافة الشرائح الاجتماعية والقوى السياسية المختلفة وحقق التوافق والتوازن من خلا ل الميثاق الوطني الذي جسد القيم العليا لأبناء الشعب اليمني وأصبح الرئيس نقطة التقاء كافة التيارات السياسية التي احتواها المؤتمر الشعبي العام واستطاع أن يحقق الاستقرار في الشطر الشمالي قبل الوحدة وظلت الوحدة الهدف المركزي في حركته السياسية ومع تحقق الوحدة وربطها بالديمقراطية اكتملت صورة القائد الكاريزمي.

وأكد الرئيس صالح صورته الكاريزمية بدفاعه عن الوحدة وهزيمته للمشروع الانفصالي وعمله الدائم على إشاعة فلسفة دولة النظام والقانون في مجتمع ظل تاريخيا ينزع للاستقلال وعدم الرضوخ للسلطة المركزية وقد استخدم الرئيس بقدرة فائقة القوى المناصرة لرؤيته السياسة خصوصا القوى الحداثية التي كانت معزولة في مجتمع تقليدي وتم هزيمتها أكثر من مرة وابرز دورها ومنحها الثقة لمواجهة عوائق بناء الدولة وهي كثيرة وعمل جاهداً على تحييد تلك العوائق بتحالفاته المتنوعة.

وحاول أن يخلق انسجاماً بين مختلف القوى لتدعيم الاستقرار والامن حتى يتم بناء الدولة ونتيجة خوفه من سقوط مشروع الدولة فقد تحالف مع القوى التقليدية داخل المجتمع وتلك التحالفات كانت تهدف إلى امتصاص النزاعات والصراعات وهضم تلك القوى أو تحييدها لصالح بناء الدولة العصرية فقد استطاع بجدارة إدخل القبيلة في معادلة الدولة وتحالف معها بهدف استيعابها ومحاصرة المقاومة التي تبديها للدولة وقوانينها ولكن قوة التيار القبلي والعقلية القبلية التي تعاملت مع الدولة كغنيمة جعلها تبدو للمراقب قوة أضعفت الدولة وعرقلتها كثيرا ولكن في المحصلة النهاية ومع الوقت تم إدماج القبيلة وأصبحت اكثر مرونة في الدفاع عن الدولة وقوانينها وأكثر رغبة في التحاكم إليها والدفاع عن مصالح أبنائها من خلال آليات المشروع الوطني ومع الوقت ستتحول القبيلة إلى أداة ايجابية حامية للدولة ومدافعة عنها.

وتحالفات الرئيس المختلفة كانت ضرورة سياسية للحفاظ على مصالح جميع الفئات المتعارضة حتى يكون القائد السياسي مقبولاً وخادماً لجميع الإطراف لخلق صورته الايجابية التي تجعل منه نقطة التقاء للقوى المتصارعة التي تقبل قيادته وتتجسد فيه الوحدة والانسجام مما يسمح له بتحقيق التوافق خصوصا في المراحل الأولى لإعادة البناء حتى يكون قادرة على تمرير المشروع والرؤية السياسية المؤسسة للمشروع الوطني وللدولة الحديثة.

وقد انتقد البعض تلك التحالفات ونقول نعم قد تحدث أخطاء ويصاب المشروع بالقصور ولكنها أمور حتمية بحكم البيئة المحيطة التي يعمل فيها القائد السياسي فقد تنزع بعض مراكز القوى المشكلة للنظام اما نحو الهيمنة وضرب الاطراف الأخرى او تحيد عن الأهداف المؤسسة للمشروع أو تنزع لتحقيق مصالح الانانية وخلال عملها تلجا لإحياء الولاءات الدنيا ومختلف الادوات كالفساد وغيرها من القيم السلبية المعيقة لبناء الدولة بل أن البعض قد يستخدم العنف وهذا قد يعيق عمل القائد في التعمير ويصبح همه حلحلة مشاكل القوى الداعمة للنظام ولكن الرئيس صالح أثبت أنه قادر على الحزم في اللحظة التي يحس أن المشروع الوطني مهدد.

وهذا يفسر تخلي الرئيس عن بعض التحالفات السابقة والتي شكلت في بعض جوانبها اعاقة لمشروع دولة النظام والقانون وإجبارها على الرضوخ لفكرة الدولة العصرية وانظمتها وقوانينها ومحاصرتها ولكن بشكل يجعلها مؤيدة ولكن حركتها اصبحت غير فاعلة.

وكان الرئيس على قناعة مع النخبة السياسية الحديثة أن خطابه السياسي مع الزمن قادر على فرض نفسه لذلك عمل الرئيس على تطوير مشروعه السياسي مدعوماً بنخبة سياسية وثقافية مع الوقت تجسد في الدستور والأنظمة الصادرة والهياكل والمؤسسات المختلفة.

وبذلك استطاع الرئيس أن يدعم صورته لدى الجماهير وانصاره أنه المدافع عن طموحاتهم وان قدراته وخبرته تزداد مع الوقت واكد الرئيس خلال فترة حكمه أنه على استعداد للتضحية والالتزام بحماية المصالح العليا لهذا عمق ثقة الناس بقيادته.

ولابد ان نشير أن القائد يحتاج إلى أدوات لدعم صورته وابراز انجازاته وما يقوم به الإعلام الرسمي والأحزاب المؤيدة للرئيس هي آلية ضرورية للحفاظ على شرعية القيادة حتى تكون قادرة على تعبئة الجهود الوطنية لإكمال مشروع بناء الدولة وأن كان هناك مبالغة من البعض في الطرح مما يجعله اقرب إلى الخداع ويتحول إلى أداة سلبية لا تساند القائد وتعيق تحقق القيم التي تدافع عنها، وهذا يتطلب في المرحلة القادمة أن يكون الاعلام أداة لدعم الصواب وممارسة النقد الايجابي البناء بكشف السلبيات والاخطاء وان تصبح أداة داعمة للقائد والمشروع الذي يدافع عنه وليس أداة للتعمية ولن يضيرها شيء أن تكشف الحجب عن الفساد التي قد تمارسه النخبة الداعمة ومحاورة القائد بأدب عالي وهذا لا يعني عدم ممارسة النقد ومناقشة الرؤى المطروحة من قبل القائد بحكمة واحترام وهذا أمر مهم فالقائد السياسي يمثل رمز للوطن كل.

واستطاع الرئيس أن يدعم صورة الذات من خلال تميزه والتزامه بالثقافة الاسلاميه وخطابه السياسي لم يتأثر بأي ايديولوجية بل ان الاسلام هو المصدر الأساسي لخطابه السياسي ولم يتبن العلمانية وعمل على اقناع النخب الحديثة أن الاسلام قادر على استيعاب قيم الحداثة وبالتالي فقد لعب دوراً اساسياً في كبح العلمانية المتطرفة.

كما أن الرئيس نموذج للمواطن اليمني الذي ينتمي للغالبية العظمى من اليمنيين وبالتالي جسد طموحهم فهو رمز للمناضل الجسور الذي أثبت نفسه باستناده على القيم التي يدافع ويقاتل من اجلها كل اليمنيين.

استطاع الرئيس علي عبدالله صالح ان يدافع عن مشروعه السياسي بحكمة وشجاعة وتعامل مع معارضيه وخصومه بعقلانية

وتميز بقدرته في استخدام عقله وأحاط نفسه بأهل الخبرة والمعرفة ومعظم القرارات المصيرية كانت نتاج مشاورات طويلة مما جعلها مؤسسة على حسابات دقيقة وقادرة على فهم الواقع كما هو وبالتالي حققت نجاحات في تدعيم الدولة برؤية عقلانية ومتزنة ومعبرة عن مجموع القوى المشكلة للنظام وهي قوى وطنية تعمل على إنجاح الدولة وتحقيق اهداف المشروع الوطني.

وهكذا استطاع الرئيس أن يدافع عن مشروعه السياسي بحكمة وشجاعة وهذا ماجعله يتعامل مع معارضيه وخصومه بعقلانية ولم يعرف عنه أنه متهور مما جعل الكثير يمنحونه الثقة وجعل معارضيه يمارسون النقد بكل قوة يصل احيانا إلى درجة الاسفاف دون ان يتأذى أي منهم.

من جانب آخر تعامل الرئيس مع أعداء الدولة والقوى المعارضة للمشروع الوطني ودولته الحاملة له بحزم شديد من خلال ممارسة القوة بمفهومها المادي المباشر ولكن هذا السلوك ليس إلا حلاً اخيراً لحماية القيم الوطنية من الانهيار وبعد استخدام الوسائل المختلفة ذات الطابع السلمي ورغم ذلك فعندما تنتصر القيم والمصالح العليا للوطن ويصبح المشروع الوطني في مأمن يتسامح الرئيس بشكل يذهل الاعداء قبل الحلفاء، وكل ذلك دعم صورته كقائد كاريزمي.

ونجح الرئيس بجدارة أن يدعم صورته ايضا من خلال خطاب سياسي ومواقف قوية في الدفاع عن استقلال القرار اليمني الخارجي وفي دعم القضايا العربية والاسلامية وجعل القرار الخارجي قرارا فاعلا في خدمة المصالح الوطنية.

وبدراسة تجربة الرئيس صالح نجد أنه يتمتع بجدارة بمقومات الشخصية الكاريزمية التي عملت جاهدة من اجل بناء اليمن الحديث وتحمل مشروع وطني متكامل اسهم في التأسيس للدولة اليمنية وفق رؤية عصرية متوافقة مع التغيرات والتحولات المحلية والدولية وان المشروع قطع أشوطاً كبيرة وأصبح قادراً على الدفاع عن نفسه وأصبحت الدولة أكثر قدرة وثباتا مقارنة بالمراحل التاريخية السابقة فالهياكل المؤسسية للدولة أصبحت شبه مكتملة وتحتاج إلى تطوير وتفعيل وإضافات وهي مدعومة بكوادر أصبحت تحمل الخبرة كما أن الفئة التقنوقراطية المحترفة أصبحت كبيرة وتعمل جاهدة لخدمة المواطنين حسب الإمكانات المتاحة كما أن الهياكل المؤسسية بشكلها الحالي تعبر عن طموح أبناء الشعب ومازلنا ننتظر الكثير من مشروع الإصلاحات الشاملة التي يتحدث عنها الرئيس لإكمال البناء والتعمير.

ومن الواضح أن الرئيس في المرحلة الحالية يطرح مشاريع اصلاحية شبه شاملة مدعومة بقوة من النخبة التي اخذت في التوسع لصالح القوى المتعلمة والمتخصصة والتي تحمل افكاراً عصرية وهي نخبة معبرة عن الشرائح الاجتماعية المختلفة.

ولعل أبرز تلك الاصلاحات التي بدأت تظهر بوضوح إصرار الرئيس والنخبة السياسية وفق آليات منظمة وأجراءات واضحة لمكافحة الفساد وفي حالة تفعيلها وتطبيقها ستكون قادرة على محاصرة وباء الفساد كحالة مرضية معيقة للبناء التنموي ولمختلف الاصلاحات الأخرى ورغم المخاطر الناتجة عن ذلك ونزوع البعض لمقاومة ذلك أما بالتآمر أو بإعلان المعارضة أو بدعم المعارضة بشكل غير مباشر لتهديد الرئيس في التراجع عن سياساته الإصلاحية واقناعة أن ذلك قد يهدد شرعية النظام ويجعله يفقد الكثير من أنصاره ولكن تلك القوة تفكر بعقلية ماضوية وتجهل كثيرا الحراك الاجتماعي والسياسي ورسوخ فكرة الدولة لدي الغالبية العظماء من أبناء الشعب ونشوء فئات جديدة غير قادرة على تحمل أعباء تلك التحالفات وعلى استعداد للتضحية ببسالة من اجل المشروع الوطني ودولته الحديثة.

أحزاب المشترك وممارسة الدعاية السوداء؟!

ولاثبات الفرضية التي يستند إليها المقال لابد من تناول دور المعارضة فيما يخص دور القائد الكاريزمي والمتمثل هنا في الرئيس صالح .

يمكن القول ابتداء ان أحزاب المشترك لا تجمعها أرضية أيديولوجية واحدة فهي أما قومية لم تفهم بعمق أن الدولة الوطنية وبناءها هو المقدمة الضرورية لاي مشروع عربي مستقبلي وعليها أن تدرس مشروع الدكتور محمد جابر الانصاري حتى تكون قادرة على ممارسة النقد الذاتي لتجاوز أغراقها في التفسيرات والطرح الذي يهدد المشروع الوطني وأنا على قناعة أن الناصريين رغم أنهم جناح ضعيف إلا انهم يمثلون كنترول للمشترك وحمايته من التهور خصوصاً فيما يتعلق بالاستقوى بالاجنبي واستغلال ضغوطه لتخويف النظام السياسي.

أو حزب حداثي في الخطاب لا الفعل فالحزب الاشتراكي يطرح الحداثة وفق رؤية مثالية متجاوزه للواقع اليمني وعليهم دراسة تجربة الدولة الحديثة في أوروبا وفي المنطقة العربية وتطوراتها فلا يمكن القفز في مجتمع تقليدي إلى الحداثة السياسية دون اشكاليات لا حصر لها وهناك اطراف داخل الحزب الاشتراكي غارقة في الولاءات الدنيا وتفسير العمل السياسي من خلال المصالح الانانية للذات مما جعل حركتها متناقضة مع المشروع الوطني، وفي تصوري أن الحزب يحوي كوادر وطنية مثقفة وتملك من الخبرة ما يجعل منهم رجال دولة حقيقيين ولها رؤية عصرية وعقلية مرنة منفتحة ويستطيع الحزب أن يبني معارضة ناضجة ومستقلة عن المشترك بل أرى أن بناء تحالف بين الحزب والمؤتمر لصالح بناء الدولة اليمنية الحديثة سيمثل نقلة نوعية للمشروع الوطني ويسهم في الامن والاستقرار وبالتالي دعم للرئيس في إنجاز الاصلاحات القادمة.

أو أصولية متدثرة برؤية عصرية في الجانب السياسي لإخفاء حقيقة وطبيعة المشروع الذي تعمل من أجله وممارسة النضال السياسي وفق عقلية متحمسة لمشروعها السياسي ولكن أفراطهم في الخصومة ونزوعهم نحو الصدام نتاج فقدان مصالح اعاق توازنهم الفكري وعليهم أن يدركوا أن خروجهم الجزئي من السلطة(لأنهم مازالوا مشاركين بطريقة أو بأخرى في النظام السياسي) وضعف تحالفهم مع الرئيس وتوسع دائرة النخبة العصرية ذوي التوجهات الليبرالية لا يعني نهاية المطاف وعليهم أن يشتغلوا في دائرة المشروع الوطني الذي دعموه وساهموا في تأسيسة وعليهم ان يفكروا بعقلية الحزب المدني لا الحزب الديني وعليهم أن يؤسسوا لطرح يقبل الحداثة ويهضمها بقناعة وممارسة السياسية وفق المبادئ التي يدافعوا عنها وأن لا تتحول السياسة إلى ممارسة ميكافيلية لتحقيق الاهداف الخاصة للحزب.

وعلى الاصلاح كبح جماح المتطرفين والباحثين عن الفوضى ومحاصرة المشروع الذي يؤيد الإنقلاب أو الثورة سلمية كانت أو عنيفة تحت أي مبرر لأن ذلك ليس إلا دعوة للتدمير وخنق للمشروع الوطني ولن تكون الحركة الاسلامية قادرة في حالة الصراع الصفري قادرة على ضبط ايقاع الصراع وستكون اول الخاسرين ولكن بعد إرهاق للدولة وأعاقة المشروع الوطني من تحقيق أهدافه رغم قناعة المتطرفين أن أختراقهم للسلطة وباعتبارهم حزب منظم ومنتشر سيجعلهم قادرين على توجيه المسار لصالحهم ومن ثم قطف ثمرة السلطة وهذه من وجهة نظري رؤية عمياء متجاهلة للواقع المحلي والدولي وغير مبنية على رؤية عقلانية ولكنها مبنية على حماس ثوري مؤسس على تفسيرات ناقصة للفكر الاسلامي.

أما الحزبان الاخران المشكلان للمشترك فهما في التحليل النهائي ينزعان نحو الطائفية وهما تجمع للفئات الارستقراطية الهاشمية التي خسرت مواقعها لصالح شرائح اجتماعية جديدة ولا تحمل أهدافاً واضحة وهي محاصرة داخل ذاتها وليس لها بعد جماهيري رغم أن صوتها مرتفع ومزعج وهي تحتوي على كوادر مؤهلة وخبيرة في ممارسة العمل السياسي وهذا جعلها قادرة على أخفاء هويتها وحقيقة مطالبها ولكنهما من وجهت نظري رغم المقاومة التي تبديها أنها أكثر القوى السياسية قدرة على التعامل مع السياسة كفن الممكن في حالة تحقيق مصالحها وهذا المصالح لا يمكن تحقيقها وفق آليات الديمقراطية وبالتالي فتحالفها مع النظام هو الحل وهذا الامر مستبعد في ظل وجود أغلبية هاشمية تمارس السياسة وفق آليات المشروع الوطني وليس لهم رؤية طائفية ولا عقد مسبقة وتتعامل مع السياسة بعقلية المواطنة بمفهومها الحديث ولانها كفؤة ومتميزة فهي متواجدة في السلطة لذلك في تصوري أن المجموعة الطائفية ستظل مزعجة وسيدفع البعض منها الامور نحو الصدام ويمثل دفع متطرفي الإصلاح نحو الصدام مع النظام السياسي احد الخيارات المطلوبة وفي هذه الحالة فأنهم يمارسون السياسة بهدف الانتقام نتيجة خسائرهم المتلاحقة وتفتت حزب اتحاد القوى الشعبية نتاج خلل في المنظومة الفكرية والعملية التي تسير الحزب واتهام السلطة دون ممارسة النقد الذاتي نوع من الهروب وعدم قدرة على حل التناقضات التي تحكم الحزب.

وليس بخاف على المراقب لواقع تلك الاحزاب والمتابع لتاريخها ولمنظومة الأفكار الحاكمة لها أنها أحزاب لا تجمعهم منظومة قيمية واحدة تعكس هوية سياسية موحدة قادرة على تحديد أولوياتهم في الفكر والعمل فالتناقض هو الأمر الطبيعي ولكنهم متفقين خصوصا بعد هيمنة المتطرفين داخل المشترك على إفشال مشروع الدولة اليمنية الحديثة الذي يعبر عنها الرئيس صالح والنخبة السياسة العصرية الداعمة له وعلى الرغم أن المشترك قد لا يختلف في الشعارات العامة عن المؤتمر الشعبي العام وعن الفصائل السياسية الأخرى في الساحة اليمنية ولكنه يقدم رؤية وأجندة مختلفة وكل طرف داخل المشترك له أهداف وإغراض مختلفة في الدفاع عن تلك الرؤى والاجندة.

والاستراتيجية الواضحة والمتابعة للخطاب الاعلامي للمشترك يلاحظ هيمنة فكرة أن خنق الدولة ومشروعها الوطني لا ياتي إلا من خلال تدمير القائد والنخبة الداعمة وهذه الفكرة مؤسسة على أنه لا يمكن الهيمنة والسيطرة في ظل وجود قائد كاريزمي بوزن الرئيس على صالح ونخبة قوية تمثل الغالبية العظمى من شرائح المجتمع اليمني ومن هنا كان لابد من تشويه صورة الرئيس وتدمير المرتكز الكاريزمي في شخصيته وتشويه صورة النخبة الداعمة للمشروع من خلال التشكيك بأهم المرتكزات التي يقوم عليها النظام ومشروعه السياسي فهي تشكك بالوحدة وتشكك بأن الرئيس يتحرك ضد منظومة النظام الجمهوري من خلال اتهام النظام بانه يقوم بالتاسيس لفكرة التوريث وسندهم الوحيد هو تعيين أبناء النخبة في مواقع قيادية (هذا التفسير مبالغ فيه وله تفسيرات أخرى ومحكوم بحسابات مختلفة لا علاقة لها بفكرة التوريث وهي اشبه بحسابات الاصلاح في تلميعها لقيادات شابه لتحتل مواقع اقاربها أنشاء الله بعد عمر طويل) وعادة ما تسعى المعارضة لنسف كل المنجزات الديمقراطية بل أن البعض يرفض وجود الديمقراطية وتنفي أي انجاز تنموي أو أي تطور في كافة المجالات بل لديها اعتقاد أن الفساد والخراب والدمار هو الحاكم لكل شيء ويكفي قراءة مقدمة برنامج العمل السياسي للمشترك لتتضح رؤيتهم في تشويه النظام ناهيك عن المقالات والندوات والمحاضرات والمهرجانات .....الخ كلها تصب في اتجاه يرفض كل شيء رافض لكل ويعمل على تشويه النظام بكل الوسائل المتاحة وحركته مرتكزة على البعد الاعلامي وبالتالي ممارسة دعاية هي أشبه بالدعاية السوداء المشككة والساعية لتدمير سمعة النظام فالبحث عن الحق ليس من أولوياتها.

الخطاب السياسي للمشترك يعاني من الضعف والركاكة وعاجز عن تقديم تحليلات سياسية قادرة على فهم الواقع

ويقوم المشترك باستغلال الأوضاع الاقتصادية السيئة ويفسرها وفق الاستراتيجية المتبناه مع تجاوز الظروف الموضوعية التي يدركها الجميع لعل أهمها قلة الموارد وتزايد الطلب عليها بسبب الزيادة السكانية وتضخم المطالب المجتمعية وتزايد المتطلبات التنموية وأيضا استغلال تفشي الفساد في القطاعات الحكومية لأسباب كثيرة اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية وتنظيمية ويتم تضخيم الحالة إلى دراجة الاعتقاد أن كل شيء فاسد في اليمن فمن يقرأ صحف المشترك يعتقد أن جهنم ارحم من العيش في اليمن ونحن هنا لا ننفي أن الحكومة بمؤسساتها لابد أن تتحمل نصيبها من المسئولية لكن الإشكالية أن المشترك لم يقدم دراسات موضوعية قائمة على فحص التجربة وفق عقلية مرنة تربط بين المنجز والواقع التاريخي لليمن الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي بهدف التقويم والتعديل والمراجعة ووضع البدائل الواقعية لإصلاح أوضاعنا المختلفة وتقديم الخطط والبرامج والإجراءات الواضحة والواقعية والقادرة على التعامل مع البيئة اليمنية وتجربتها السياسية.

ويمكن القول أن تلك الاستراتيجية أضعفت المشترك حيث وقع في خطأ استراتيجي افقده قدرته على الحركة والفعل الايجابي فأقام مشروعة السياسي على نفي كل شيء وعلى فرضية مسبقة غير محققة أن التجربة السابقة فاشلة وقدم مشروع حالم ومتناقض وناقص وغير قادر في بعض جوانبه التعامل مع التجربة اليمنية الناشئة وقام باتهام الرئيس وتحميله كل السلبيات التي يتحدث عنها ويسعى جاهداً بحملة منظمة بدقة لتزييف الوعي الجماهيري بممارسة دعاية فجة لتشويه كل شيء خصوصاً تشويه صورة الرئيس صالح وأنه أداة تدمير وانه لا يحمل أي مشروع لبناء الدولة وان نظامه السياسي بكليته لا يحمل أي مشروعية؟؟؟

وهذا الكلام غير مبالغ فيه فالمتابع للمنتج الإعلامي للمعارضة السياسية في اليمن وخصوصا التي تبنت الأجندة السياسية للمشترك يجد أن أغلب المقالات الصحفية متشائمة تصب جام غضبها على الرئيس صالح والنخبة السياسية واتهامها بالفساد والتخريب وهكذا يمكن القول أن الفقه السياسي للمعارضة يغلب عليه التمحور حول شخصية الرئيس وتحميله كافة الأخطاء بما فيها الأخطاء التي اقترفتها أحزاب المشترك وفي تصوري لا يوجد معارضة على المستوى العالمي يرتكز مشروعها على تشويه رأس النظام السياسي إلا المعارضة اليمنية ورغم كل ذلك لم يتعرض أي من كتاب المشترك لأي أذى لأنه لو تعرض أي منهم لكان الرئيس متناقض مع مشروعة السياسي ومن صفات الشخصية الكاريزمية التسامح وموجهة الخصوم بالمبادئ التي يؤمن بها ويسعى لترسيخها وحرية الصحافة هي احد مرتكزات المشروع الديمقراطي الذي يدافع عنه الرئيس ويعمل من اجل تحقيقه بصورته المثالية.

ويمكن الإشارة هنا أن المشترك لم يدرك أن المؤسسة الرئاسية هي مرتكز النظام وهي المؤسسة الأكثر حيوية والقادرة بحكم السلطات الممنوحة لها في الدفع بالإصلاحات لتصل إلى مداها النهائي في المرحلة القادمة وهذه المؤسسة ليست تعبير عن شخصية الرئيس بالمعنى الذاتي للشخصية وإنما قراراتها هي تعبير عن رؤية سياسية تنتجها وتدعمها نخبة سياسية لها امتداد وأنصار في كافة المستويات وهي التي تمنح النظام الشرعية والقدرة على الفعل في إحداث التغيير المطلوب وقد تبدو المؤسسات الأخرى مرتبطة بالمؤسسة الرئاسية بفعل قوة وتأثير الرئيس ولكن في حقيقة الأمر المؤسسة الرئاسية تلعب دور الكنترول المتحكم بمسارات المؤسسات حتى لا تخرج عن مساراتها الدستورية ولا تتحول إلى أدوات بيد مراكز القوي وتعيق المشروع الوطني من الاكتمال ومؤسسة الرئاسة في حالة من التطور وعندما تصبح الدولة أكثر استقرارا ورسوخا يمكن إعادة بنائها بناءا على رؤية علمية ناضجة وبما يتوافق مع البيئة اليمنية ويحقق المصالح العليا للوطن.

عموما يمكن اختصار مشروع الإصلاح السياسي للمشترك بأنه مشروع لاستهداف شخصية الرئيس وتجربته السياسية ومشروعه في بناء دولة النظام والقانون فقد حمل الرئيس كل السلبيات الموجودة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وصورته أنه صانع كل المصائب وهذا يدل على رؤية لا عقلانية وعجز عن تقديم رؤية تاريخية موضوعية لفهم الواقع السياسي وطرح رؤية واقعية للإصلاح السياسي كما انه يحمل في طياته رؤية انقلابية لكل المنجزات التي حققها أبناء اليمن بقيادة الرئيس صالح مما يجعل خطابهم خطاباً استبعادياً متخلفاً عاجزاً عن ممارسة السياسة بشكلها الصحيح وازعم هنا أنهم يمارسون السياسة بعقلية مراهقة تنقصها الخبرة والاحتراف.

وهذا جعل الخطاب السياسي للمشترك يعاني من الضعف والركاكة رغم الحماسة والثورية ونزعة المقاومة لكل شيء مما جعله عاجزاً عن تقديم تحليلات سياسية واقعية وعلمية قوية (إلا فيما ندر ونحن نتحدث عن الصفة الغالبة على الخطاب) قادرة على فهم الواقع وتحليله برؤية منطقية وعلمية فعرضه القضايا الوطنية تتم في ظل عموميات خالية من المعلومة وفيها سطحية وتركيز على رمز النظام السياسي دون احترام لتاريخه السياسي وتضخيم للجانب السياسي مما افقده عمق العرض وشمولية التناول كما أن خطابها خطاب يحمل في عمقه للتشاؤم واليأس وهذا جعل منه خطاباً تخويفياً وبالتالي عاجزاً عن البناء والتعمير والتقدم.

★ قسم العلوم السياسية – جامعة صنعاء